

ورطة الجحود الإسبانية حيال المغرب



ولو بكل أشكال التضحيات الممكنة. والآلاف الذين اجتاحتها سبتة، يوجد مثلهم مئات الآلاف ممن قد يسبقون الجيش للدفاع عن أرض بلادهم. أذهب أينما شئت في مدن المغرب، وسترى ذلك بأعينك، في كل حارة وشارع وسوق.

المغرب ليس قوة إقليمية كبرى في المنطقة فحسب، بما لا يسمح بتجاهل حقوقه الوطنية في أراضيه، ولكنه قوة بناءة أيضا، تأخذ بالخير ما تستطيع أن تأخذه بالقوة.

العلاقات مع الجزائر قائمة على الأساس نفسه. والسؤال الذي بات يتعين على مدريد أن تسأله لنفسها، هو نفسه السؤال الذي يواجه الأصدقاء الجزائريين: ما قيمة هذه «البوليساريو» أمام شريك كبير وأخ كبير، يعطي أكثر مما يأخذ؟

بعض الاستدراك يتيح لمريد الأذن، أن تتعافى من إنسانيتها المفرطة، لتقول إن إبراهيم عالي لن يخرج من إسبانيا قبل أن يواجه القضاء بالاتهامات الموجبة له. ولكنها انكرت دخوله بوثائق مزورة.

بقي أن تقدم تفسيراً لكيف أنها استقبلت مطلوباً لقضائها بالذات لتوفر له الحماية والعلاج. كما بقي أن تتعافى من الجحود، وذلك أمر أصعب.

المغرب لا يأخذ شيئاً من حقوق أحد عندما يدافع عن وحدة أراضيه. تلك قضية مقدسة لكل من يتنفس الهواء هناك، من طنجة إلى العيون.

واستراتيجية الشراكة الوطيدة على حسن النيات، تكفي جواباً للجادين بأنهم يهددون أنفسهم عندما لا ينظرون إلى حقيقة أن الصحراء مغربية إلى غير رجعة، وأن شيئاً لن يغير هذا الواقع،

مريد خافت طبعاً. هاجمت وهددت، إلا أنها لم تهدد إلا نفسها، عندما حاولت أن تحشر قضية احتجاز الحدود في قالب غير قالب نزاعها الإنسانية المفرطة حيال إرهابي، يغتصب بوحشية لو شاء أن يغتصب.

وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة، قدم الحيرة كما يحسن أن تقدم، قائلاً لإذاعة «أوروبا 1»، «إنه لا يمكنك التخطيط ضد شريك في الليل وتطلب منه أن يكون مخلصاً في اليوم التالي».

قبل أن يجزم «نحن لسنا حراساً لحدود الغير». وقدم من الأدلة ما يكفي على أن بلاده فعلت ما لم يفعله أحد في مجال مكافحة الهجرة غير المشروعة. ومن ذلك أنها «فككت 8000 خلية للاتجار بالبشر، وأجبرت 14 ألف محاولة هجرة غير شرعية، منها ثمانون محاولة تسلل إلى مدينة سبتة».

دع عنك سلطاتهم. هذه السلطات غلبتها الحيرة أيضاً، حيال شريك لا يتصرف كثير، وحيال مواطنين يندفعون لتذكير إسبانيا بما ترغب أن تنساه.

إسبانيا التي لم تتجاوز عتبة أزمتهن اقتصاديتين خانقتين، كادت أولهما أن تدفعها إلى الإفلاس في العام 2008، لا تستطيع أن تنكر أن علاقاتها مع المغرب قدمت الإسهام التالي، مباشرة بعد الاتحاد الأوروبي، لإنقاذها من الإنهيار. وكان يوسع المغرب أن يقاوض الدعم بما يستحق. إلا أنه أثر أن يقدم حسن الجوار أولاً. ولم تكن المقايضة في قائمة الخيارات أصلاً. يمكن للدول أن تجحد، بالضبط مثلما يفعل الأفراد، ولكن الهجوم

الإعلامي على المغرب كشف عن وجه أكثر قبحاً من جانب جار كان قبل زمن قصير يدعوه المغاربة «بو رقعة» لأن مواطنيه الباحثين عن العمل في المغرب، كانوا يرتدون اسملاً مرقعة. ولكن شيئاً من فقدان الذاكرة، فوق الجحود، هو الذي سمح للكثير من مؤسسات الإعلام الإسبانية أن تسخر وتستهنين بالمغرب، بل وأن تتخفى خلف إصبع الحماية الأوروبية للحدود الإسبانية، بما فيها سبتة ومليلية المحتلتين.

وكان من فائض الغطرسة أن استدعت الخارجية الإسبانية سفيرة صاحب الجلالة للحضور إليها خلال «نصف ساعة» وكان القيامه قامت، مما دفع الخارجية المغربية إلى دعوتها للعودة إلى الرباط فوراً.

الرهان في المغرب لا أسرار فيه. إنه مكشوف وصادق مع النفس أيضاً. وهو أن إسبانيا يمكنها أن تتكى على شريك كبير، لكي ترى فيه قيمة أعلى من احتلال بعين الجيبين. إلا أن هذا الرهان لم يأخذ هذين الاعتبارين لا المحاققات ولا الجحود ولا فائض الغطرسة، وما يمكنها فعله على علاقات الشراكة وحسن الجوار.

قيمة المبادلات التجارية بين المغرب وإسبانيا تزيد عن 15 مليار دولار سنوياً، بينما التبادلات التجارية مع فرنسا، وفقاً لإحصاءات العام 2019، تبلغ 13 مليار دولار سنوياً. ويستحوذ هذان البلدان وحدهما على 58 في المئة من مجموع التبادل التجاري المغربي مع دول الاتحاد الأوروبي، و66 في المئة من مجموع التبادلات التجارية المغربية مع كل أرجاء العالم.

هذا وضع استثنائي بالفعل. إنما تجاه من دفعت به الحماسة إلى أن يتصرف مع «زبونته» الأول بقدر غير مسبق من نكران الجميل، ويقدر أعلى من التكرار لحقوق والتزامات الشراكة الأمنية، وليس التجارية وحدها.

السؤال الذي بات يتعين على مدريد أن تسأله لنفسها هو نفسه السؤال الذي يواجه الأصدقاء الجزائريين: ما قيمة هذه «البوليساريو» أمام شريك كبير وأخ كبير يعطي أكثر مما يأخذ؟

المغرب في هذه العلاقات، كما في العلاقة مع الجزائر، يعطي أكثر مما يأخذ، ويفتح من آفاق الشراكة ما يغني عن كل الاعتبارات الصغيرة، التي لم يثبت أنها جديرة بالاعتبار أصلاً.

المغاربة، من دون حاجة إلى توجيه من أحد، أرادوا أن يلقنوا الجحود درساً. فتلقتهم مدريد عندما اجتاح الآلاف من «المهاجرين» حدود جيب سبتة المحتل، ليقدّموا إشارة إلى أن تلك هي أرض مغربية أيضاً، وأن التعدي لن يمر مرور الكرام على مشاعر المواطنين،

علي الصراف
كاتب عراقي

أوقعت إسبانيا نفسها في ورطة عندما قررت استقبال إبراهيم عالي زعيم الحركة الانفصالية «البوليساريو» لمعالجته.

غالي حمل وبعاه إلى إسبانيا بجواز سفر مزور واسم منتحل، لا لكي يخفي هويته الحقيقية عن السلطات، ولكن لكي يُعَمَّر، هو والذين أرسلوه، في ممارسة تزيف الحقائق.

الكثير من الدول يصاب بداء الغباء، إلا أن الشريك التجاري الأول للمغرب، أقر التغابي، عندما وفر لغالي ملاذاً آمناً، رغم معرفته بأن هذا الرجل يواجه اتهامات بارتكاب جرائم قتل وتعذيب واغتصاب من جانب مواطنين يحملون الجنسية الإسبانية.

أرادت السلطات أن توفر له علاجاً من مرضه الملن، وغطاءً لأمراضه الأخرى. ولتقدم بذلك إشارة تهديد صريحة للمغرب، لا تتوافق مع سجلات الشراكة والتعاون الأمني والتجاري وعلاقات حسن الجوار، التي تم إرساؤها على امتداد عدة عقود من الزمن.

التساؤلات التي شغلت المغاربة، من طنجة إلى العيون، هي: ما الذي يدفع هذا البلد لكي يتصرف بهذا المقدار من الحماسة، وما هي الدوافع الخفية من وراء فائض «النزاع الإنسانية» حيال مجرم حرب؛ وما الذي تريد مدريد أن تكسبه من إشارات الاستعداد للتعني على وحدة المغرب الترابية؟

إسبانيا هي الشريك التجاري الأول للمغرب منذ العام 2014 إلى اليوم، وعلى الرغم من عمق العلاقات الاقتصادية المغربية مع فرنسا، إلا أن إسبانيا أزاقت فرنسا إلى المرتبة الثانية في تلك الشراكة.

الديبية وخيار التواصل مع حفتر

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

الإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

الحزبية والعقائدية، وعندما شكّل الحكومة، اختار أن يحتفظ لنفسه بحقيقة الدفاع وهي في الأصل من حصة إقليم فزان، وقرأ البعض ذلك الاختيار بحسن ظن، ورجح أن يكون الهدف هو أن يجتمع رئيس المجلس الرئاسي بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة مع وزير الدفاع على تدرشين مرحلة التواصل العملي مع قائد الجيش، والذي حتى وإن كان مقره في شرق البلاد، فإن لديه قوات قوامها 100 ألف مقاتل بتراتبية عسكرية حربية ومن مختلف مناطق البلاد، كما أنه يحتكم على مساحات شاسعة من جغرافيا ليبيا وعلى قواعد عدة في الشرق والوسط والجنوب، وهو بالتالي لاعب محوري لا يكتمل اتفاق الوضع النهائي دون الجلوس معه وجها لوجه على طاولة المفاوضات.

لا يحتاج الديبية رئيس الحكومة ووزير الدفاع إلى وسيط للذهاب إلى بنغازي والاجتماع بالمشير خليفة حفتر، ولكن إذا أراد أن تكون المبادرة ذات بعد وطني اجتماعي، فيمكنه الانتقال مع وفد من أعيان مصراتة وطرابلس والزواوية وأي مدينة أخرى إلى مقر إقامة المستشار عقيلة صالح في مدينة القبة ودعوة حفتر إلى لقاء هناك يمكن أن يكون فاتحة لكسر الجمود بين الطرفين، فالحوار الحقيقي في السياسة هو ذلك الذي يكون بين الفرقاء، والذي يصنعه الشجعان لفك قتل المواجهات.

بما هو عليه الوضع الحالي، ستبقى الأزمة تراوح مكانها، واستمرار الحرب الباردة سيؤدي إلى ضيائية تترك الباب مفتوحاً على جميع الاحتمالات، وأي حرب جديدة لن تدفع إلا نحو تقسيم البلاد، وقد يكون ذلك هو الخيار الأخير أمام المجتمع الدولي الذي بدأ يشعر باليأس في ظل المناورات التي تطغى على المشهد بكل تفاصيله. وإذا كان المهندس الديبية يريد تسجيل اسمه كصانع حقيقي للسلام وكقائد كفاء لهذه المرحلة الانتقالية، ما عليه إلا أن يطرق باب «الرجمة» ولو عن بعد، وأن ينأى بنفسه عن يراهن على عنصر الزمن، لأن القادة الحقيقيين هم من يستبقونه بالفعل لا من ينتظرون ما يحدده لهم في مساراته غير المضمونة.

على الأرض، وأعني به جهاز الحرس الثوري الميليشياوي الذي تلجح قطر وتركيا إلى أن يكون القوة العقائدية العسكرية للإخوان.

هناك أطراف في غرب ليبيا لا تزال تراهن على الحرب للسيطرة المطلقة، وهي تعتقد أن الحكومة قادرة على عزل قيادة الجيش واعتماد دبلوماسية الصفقات في حرمان حفتر من تحالفاته السابقة

عندما بدأ الديبية في تلقي ملفات المترشحين لعضوية حكومته، كان قد اشترط أن يكون كل مترشح قادراً على العمل في كافة أرجاء البلاد، بمعنى أن تتغلب هويته الوطنية على هويته الجهوية أو المناطيقية أو القبلية أو

سبقه إليها فايز السراج يدفع من الإسلام السياسي وأبواقه وعجنهية الميليشيات والضغط الداخلي والخارجية، وأن يكون أكثر جرأة في مواجهة تلك المحاولات، وذلك بكسر العقدة النفسية إزاء المنطقة الشرقية وخاصة قيادة الجيش التي تبقى ذات دور محوري سواء في الحرب أو في السلام، ويفتح باب الحوار معها، انطلاقاً من مبدأ الشراكة في الوطن، والعمل على بناء جسور الثقة بما يبعد شبح الصراع ويساهم في توحيد مؤسسات الدولة بشكل نهائي.

إن بقاء الوضع على ما هو عليه، هو إشارة سلبية مفادها أن هناك أطرافاً في غرب البلاد لا تزال تراهن على الحرب للسيطرة المطلقة على البلاد ومقدراتها، وهي تعتقد أن الحكومة قادرة على عزل قيادة الجيش داخلياً وخارجياً، واعتماد دبلوماسية الصفقات في حرمان حفتر من تحالفاته الإقليمية والدولية السابقة، وإخراجه من شبك الأحداث، لكن هذا الاعتقاد خاطئ لأن البديل المطروح عن الجيش غير قابل للتحقق الفعلي

منتقدوها بأنها عسكرية، كما أن نائب المجلس عن إقليم فزان موسى الكوني شخصية جامعة ومشهود لها بالخصال الوطنية، ويحمل معه ثقافة قومه من الطوارق والساعين لنشر قيم التسامح وطي صفحة الماضي، ونفس الشيء بالنسبة إلى النائب عن طرابلس عبدالله اللافي الذي لم يبد ما يشكك في نزاهته، وإنما صدرت عنه مواقف جيدة بكلمات محسوبة وفق التوافقات الحاصلة داخل المجلس.

المسائل التنفيذية تبقى من مشمولات الحكومة التي تضم وزراء على قدر من المسؤولية، ولكن رئيسها عبد الحميد الديبية يجد نفسه أمام تحديات كبرى أبرزها أن يحاول تجاوز عقدة أنه ينحدر من مصراتة، المدينة التي يريد لها بعض قادتها الجهويين الانعزاليين وأمرى ميليشياتها أن تواصل التحرك من منطلق المدينة المنتصرة، والتي يعرقل أمراء الحرب فيها تنفيذ بنود الاتفاق العسكري، ومنها المتعلق بفتح الطريق الساحلي. كما على الديبية أن يتصدى لمحاولات تدجينه في الزاوية التي

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

قبل أيام نفت السفارة الأميركية بليبيا، والتي تباشر عملها من العاصمة التونسية، أن يكون قد صدر عنها أي موقف ضد القائد العام للجيش المشير خليفة حفتر، ووصفت ما نسب إلى السفير ريتشارد نورلاند، من أنه طالب حفتر بالانسحاب من المشهد الليبي، بأنه «مثال للمعلومات المضللة»، وحذرت الليبيين من أن «هناك من يحاول خداعهم عبر الإنترنت».

موقف السفارة كان واضحاً، لكن التغريدة المزورة المنسوبة لنورلاند تكشف عن طبيعة الصراع المحتدم في المشهد الليبي، والحرب الباردة التي تدور رحاها ويقوم فيها الإسلام السياسي وأمراء الحرب بدور محوري، منطلقين من أن لا مجال لمصالحة وطنية ولا لتوحيد المؤسسة العسكرية، بل ولا أفق لتنفيذ بنود الاتفاق العسكري، ولا حتى لتنظيم الانتخابات في موعدها المحدد للربيع والعشرين من ديسمبر، طالما أن ذلك لا فقط يتناقض مع مصالحهم، بل لأنه يحول دون تمكينهم من إقامة الوضع على ما هو عليه بما يشكله من خدمة لمشروعهم ولمشروع المحور الإقليمي الذي ينشطون ضمنه، والذي قد يحاول تغيير ملامحه الخارجية ولكنه يحافظ على ممارساته الفعلية في الخفاء.

سيكون من البديهي أن يتساءل المرء عن دور السلطات الجديدة المنتخبة من قبل ملتقى الحوار السياسي بغطاء أممي في الخامس من فبراير الماضي، وهل نجحت في تحقيق الأهداف الملقاة على عاتقها، ليأتي الجواب الذي تحدده تحليلات المشهد الليبي بأن المجلس الرئاسي يحاول بما توفرت له من صلاحيات، أن يفي ببعض تعهداته، ولا سيما في ما ينصل بجهوده لجمع كل مواطنيه تحت خيمة الوطن، ويساعده على ذلك أن رئيسه ينحدر من شرق البلاد الذي حسمت فعاليته الاجتماعية منذ موقفاً من المصالحة الوطنية منذ سنوات، واستطاع الجيش أن يشكّل فيه مظهرات الدولة التي يتهمها

